فلسفة إدارة المؤسسات الصناعية

عقدت شركة بافاريا مصر ندوة ثقافية الشهر الماضي في قاعة حورس بالمبني الإداري لمصنع بافاريا حيث تحدث الدكتور صبري الشبراوي عضو مجلس الشوري وأستاذ إدارة الأعمال والتسويق بالجامعة الأمريكية عن فلسفة الإدارة وكيفية إنجاح المؤسسة الصناعية.

وقد رحب الدكتور نادر رياض بضيف الندوة موضحاً أنه شق طريقه صعوداً إلي المستوي العلمي المتميز والمتألق وانه صاحب رؤية ووسيلة وأستاذ أساتذة، وتخرج من تحت يديه المئات من الشخصيات المتميزة.

بدأ حياته العملية في جامعة القاهرة ثم حصل علي ماجستير إدارة الأعمال من كاليفورنيا ثم الدكتوراه في الإدارة وسلوك المنظمة من جامعة إلينوى بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفي بداية حديث د. صبري الشبراوي طرح سؤالاً حول أهم المشكلات الإدارية في مصر وأجاب بأن مشكلة التقدم والتخلف تكمن في إختيار القيادات، فالإدارة تقوم علي إختيار قائد مثقف يملك رؤية وثقافة و"عدم رضا" لان الرضا بالأوضاع القائمة هو بداية التخلف فكل يوم يشهد جديداً وتطويراً ولابد من عدم الرضا عن الواقع والبحث الدائم عن التطور والجديد.

ويقول د. صبري الشبراوي: لقد شاهد العالم "التفاح" يسقط من الشجر لكن "نيوتن" وحده هو الذي بحث فيما وراء الظاهرة ورفض الاعتراف بالواقع، ومن خلال هذا الرفض أثبت نظرية الجاذبية الأرضية.

وإذا نظرنا إلي مفهوم الصناعة في مصر سنجد أن مفهومنا هو أن ننتج ولا يهمنا المستهلك، وهذا خطأ فالمنتج الذي ليس له تسويق لا يمكن أن تقوم عليه صناعة والمؤسسات الصناعية الناجحة في العالم قامت علي مفهوم الإدارة الإستراتيجية وتطور المؤسسات والاستجابة لمتطلبات المستهلك من خلال مديرين لهم صفة القيادة و الرؤية، وليست القضية هي توافر الإمكانات المادية، فالثقافة الإدارية هي التي تحرك المؤسسات العالمية والمنافسة بينها هي منافسة في "حكمة الإدارة".

ويقارن د. صبري الشبراوي بين مثالين هما فندق "الحسين" في مصر وفندق ماريوت في الولايات المتحدة، فالخواجة "ماريوت" بدأ حياته كبائع للسندوتشات والشوربة في شوارع واشنطن وركز في عمله علي التوسع وشراء العقول التي تمكنه من التوسع في أعماله وإعطائهم "أسهم" في شركته، وقد وصلت مبيعات سلسلة فنادق ماريوت في العالم إلي ٤٠مليار دولار، أي ما يعادل الدخل القومي لكل من الإمارات والكويت.

كذلك المقارنة بين محال "أبو شقرة" ومحال "ماكدونالدز" وهنا تتضح النظرة إلي مفهوم الإدارة والبحث عما يحتاجه المستهلك، وقد تخطت مبيعات شركة "ماكدونالدز" في العالم ١٩ مليار دولار.

وإذا قارنا بين ثقافة سلسلة "كارفور" والبقالون في مصر سنجد أن ثقافة البقال في مصر هي عدم الثقة في الزبون، بينما فلسفة الإدارة المتقدمة هي إفتراض الثقة وإحترام المستهلك وتركه يتجول ويختار ما يشاء.

والأمثلة كثيرة تنطبق علي شركة "هوندا" التي بدأ صاحبها في جراج للسيارات وشركة مايكروسوفت التي بدأت علي يد ثلاثة أصدقاء في الجامعة، فالذي يحرك مسيرة المؤسسة هو قوة العقل ورؤية جيدة للمستقبل.

ويضيف د. صبري الشبراوي إن ما يعطل تقدم مصر أن القائمين علي مستوي المؤسسات فلسفتهم في الإدارة متخلفة وفقيرة، ولكي نعرف الثقافة التي تتحكم في إدارة المستقبل يجب أن نعرف ثقافة من يدير المؤسسة لأن منه تنبع ثقافة المؤسسة.

من جانب أخر يتحدد مستقبل المؤسسة بالنسبة إلي تخصيصها للبحوث والتطوير، فالشركات العالمية تصرف بمتوسط ٤% من الدخل علي البحوث، ودولة كمصر تصرف أقل من نصف بالمائة من دخلها القومي علي البحث العلمي والتطوير برغم وجود العلماء النادرين والمتميزين، فنحن ليس لدينا في مصر إحترام لثقافة "الندرة" لذلك يهاجر الكثير من العلماء المتميزين إلي البلدان التي تحترم الندرة العقلية والعلم والأبحاث.

وأفضل مثال لذلك هو العالم المصري أحمد زويل، فعندما هاجر إلي الولايات المتحدة تنبأ زملاؤه له بالحصول علي جائزة نوبل لأفكاره المتميزة، فهناك تقوم فلسفة الإدارة علي أن الأفكار هي أهم الاختراعات بينما نحن في مصر ثقافتنا سلفية تعتمد علي أمجاد الماضي "الهرم والحضارة الفرعونية" دون إستغلال لهذه الحضارة في تنمية الحاضر، فالأهرام هي مجرد حجارة إذا لم نقم باستغلال هذه الصورة الحضارية للدعاية أننا لدينا أفضل شركات للبناء في مصر.

ويشير د. صبري الشبراوي إلي أن معايير قياس ثقافة المؤسسة يتم قياسها بالأشخاص والمنتجات وليس في المعدات والماكينات، فالإدارة تقوم علي علوم تسويق وتمويل وعلوم اجتماعية وخطة تهدف إلي الوصول للمنتج بأقل تكلفة وصناعة تهدف إلي سعادة البشر، فهي كالسلسلة، أنا أنتج منتجاً يسعدك وأنت تسعد الآخرين لكن ثقافتنا في مصر تقوم علي فكرة "أنا أكسب وأنت تخسر" ثقافة "الفهلوة وإخطف وإجري" بينما تحدد الشركات العالمية ثقافة "أنا أكسب وأنت تكسب" وتضع خطتها لعشرين عاماً قادمة إنطلاقاً من مبدأ أن المؤسسة ولدت لتبقي وتعيش.

وفي ختام حديثه قال د. صبري الشبراوي لقد قمت بزيارة مصنع بافاريا وأقول شهادة صادقة لقد وجدت مفاهيم الجودة والإدارة العالمية مطبقة هنا في شركة بافاريا مصر.